مجلة الآداب و الحضارة الإسلامية ISSN: 1112-4628
مجلد : 12 عدد 25 السنة : 2020

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة بشار.

جرائم الاحتلال الفرنسي ضد الشعب الجزائري(منطقة معسكر انموذجا) "1830- 1847م".

أ. عبد القادر سلاماني
جامعة بشار- الجزائر
abdelkaderslamani@gmail.com

تاريخ الوصول :2018/01/05 القبول:06 /2018/12 النشر على الخط:.....
.....Received :.....l Accepted :.....l Published online :.....

الملخص:

لاقت المقاومة الشعبية الوطنية عدة صعوبات وعراقيل، لذا اتخذت القوات الفرنسية جميع السبل والغايات من أجل القضاء على هذه المقاومة لأنها كانت شكل خطرا كبيرا على المشروع الاستيطاني فمثل هذه المواضيع التي يجب أن تعنى بالاهتمام نظرا لما تتضمنه من أطروحات وتساؤلات، تمثل مدى جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر في الفترة الممتدة ما بين 1830-1847م.

Résume :

La résistance algérienne a rencontré plusieurs obstacles a cause de cela les forces françaises ont pris tous les chemins pour mettre fin à cette résistance parce qu'elle a causé un danger réel pour le projet colonial. Il faut prendre en considération cet sujets vu les problèmes qui se pausent . qui montrent les crimes du colonialisme français en Algérie pendant la période de 1830 à 1847 .

المقدمة:

يعترف القانون الدولي بأن هناك بعض المصالح الهامة والحيوية، واعتبر الاعتداء عليها عملا يخول للدولة المعينة حق الدفاع عن نفسها وإنزال العقوبات على مرتكبي الجرائم والقرصنة

وجرائم الحرب، وبذلك يمكن القول أن الجريمة الدولية قديمة قدم العلاقات الدولية، مما أسفر عن عقد العديد من الاتفاقيات أهمها اتفاقية جنيف سنة 1864 واتفاقية لاهاي سنة 1907، فإن الفقه الدولي يتولى تحديد مفهوم الجريمة الدولية.

تعددت المفاهيم حول الجريمة الدولية فمنهم من عرفها بأنها عدوان على مصلحة يحميها القانون الدولي الجنائي من خلال المعاهدات والاتفاقيات والعرف بتحديد النموذج القانوني للجريمة الدولية بالقدر الذي تسمح به طبيعة القانون الدولي، والتي تفرض بدورها قدرا من الاختلاف عما هو مستقر في شأن الجريمة الداخلية، إلا أن يميزها عنها أن الجريمة الدولية ترتكب بناءا على طلب دولة أو تشجيعها أو على الأقل برضائها بقصد المساس بمصلحة دولية معتبرة قانونا لدولة أخرى وهذا هو جوهر الركن الدولي.

وهناك من يعرفها على أنها كل سلوك محظور يقع تحت الجزاء الجنائي الذي يطبق وينفذ باسم المجموعة الدولية، كما تعرف على أنها كل فعل يخالف القانون الدولي كونه يضر بالمصالح التي يحميها هذا القانون في نطاق العلاقات الدولية، ويوصف بأنه عمل جنائي يستوجب تطبيق العقاب على فاعلها، وأن الجريمة الدولية هي كل فعل غير مشروع يقترفه الأفراد ويعاقب عليه القانون الجنائي كونه يضر بالعلاقات الدولية في المجتمع الدولي1.

والجريمة الدولية هي كل عمل أو امتناع عن عمل يصيب المصالح الدولية أو الأساسية الكبرى ويمسها بضرر يمنعه القانون الدولي ويدعوا إلى معاقبته عليه باسم المجموعة الدولية، وكذلك تعتبر سلوك إرادي غير مشروع يصدر عن فرد باسم الدولة أو بتشجيع منها ويكون منطويا على المساس بمصلحة دولية محمية.

بعد أن اشتد الصراع بين قوات المقاومة الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر وقوات الاحتلال الفرنسي، عملت السلطات الاستعمارية الفرنسية على اتخاذ مجموعة من الإجراءات الجديدة لمجابهة المقاومة الوطنية والقضاء عليها وعلى مصادر تموينها من خلال استخدام آليات وسبل تنهك وتفقر السكان تعمل على تجويعهم لإبعادهم عن المساهمة في تمويل وتموين والتعبئة لاستمرار المقاومة الشعبية الوطنية، ومن أهم هذه الإجراءات تمثلت في سياسة الأرض المحروقة، وعمليات الإبادة المطبقة على نطاق واسع من أرض الجزائر.

[1]- فتوح عبد الله الشادلي، قانون الدولي الجنائي" أولويات القانون الجنائي- النظرية العامة للجريمة الدولية"، دار المطبوعات، الإسكندرية ، 2002، ص 214.

1- سياسة الأرض المحروقة ضد الأراضي الجزائرية:

قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال ليتان في2 أكتوبر 1836م شرق سهل سيق عبر أضرحة مسرة التابعة لقبائل مجاهر، بإفراغ المطامير التي كانت تمتلكها أولاد سيدي عبد الله ومن مسرة اتجهت نحو مدار وواصلت عملياتها المتمثلة في إفراغ المطامير1.

ويصرح الجنرال بيجو حول سياسة الأرض المحروقة :

« إن عبور الجبال ومحاربة سكانها والقضاء عليهم أمرا ضروري لذا يجب تدمير مصالحهم ففي كل قبيلة ضروري تحطيم القرى، وقطع الأشجار المثمرة، وحرق وقلع المحاصيل الزراعية وإفراغ المخازن، وتفتيش الأودية والصخور والكهوف من أجل اختطاف النساء والأطفال والشيوخ والمواشي والأثاث المنقول، إنها الطريقة الوحيدة لاستسلامهم لنا»2

أراد الجنرال بيجو من خلال هذه السياسة المتبعة ترويع السكان والعمل على تفقيرهم بعد الاستيلاء على محاصيلهم وتدميرها ونهب الأنعام والمواشي والأملاك وفي حالة المقاومة أو رد الفعل يقوم بإبادة السكان دون رحمة، هذا الأسلوب طبقته القوات الفرنسية حيثما حلت، هذا هو أسلوب الحرب الفرنسية والتي يبررها على أنها ضرورية في بلد تبتعد فيه كل الفوائد أمام المنهزم ولا توجد سوى فائدة الزراعة في هذا البلد لذا يجب أخذ قطعان المواشي ومتابعة سكان يفرون وعندما ييأسون من الحرب يسهل الانتصار عليهم.3

اتبع الجنرال بيجو تطبيق سياسة الاحتلال الشامل فقام بتنظيم قوات متحركة مكونة من 5000 جندي بمعداتهم الحربية يقومون خلال كل سنة من شهر جوان بالتوغل داخل البلاد غير الخاضعة للفرنسيين ويقومون بحرق محاصيلهم ونهب أرزاقهم وكان يرى أن بعد ثلاث سنوات من تطبيق هذه السياسة، بغزوات صارمة سوف تخضع القبائل الجزائرية طوعا للقوات الفرنسية أو تهاجر البلاد4.

لقد كانت الغاية من تطبيق سياسة الأرض المحروقة هو تفقير الشعب وعزله عن سبل المقاومة، وأكد الجنرال بيجو على تطبيق هذه السياسة الإجرامية نظرا لعدم إيجاد سبل أقل قساوة منها،

[1]-W.Estirasy, Notice historique sur le maghzen d'Oran, typographie de Berrier, Paris, 1849, P.75-76.

[2]-A. Toqueville, Travail sur l'Algérie 1841 de colonisation en Algérie, éd. Conplexe, Bruxelles, 1988, p. 30.

[3]-P. Azan, Bugeaud et l'Algérie, éd. Maginot, Paris, 1930, p. 69, 117 -118.

[4]-R. Demont, Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847, éd.Arel, Paris, 1847, t. 2, p. 76.

لصعوبة المواجهة وحسب تصريحه: « محاربة السكان والقضاء عليهم أمرا لا بد منه، لذا يجب تحطيم كل قبيلة وتدمير القرى، وقطع الأشجار المثمرة، وحرق المزروعات، ونهب المطامير، وأسر النساء والأطفال والشيوخ وسلب المواشي إنها الطريقة المثلى لخضوعهم »(1)

قامت القوات الفرنسية بقيادة المقدم لامورسيير في 26 نوفمبر 1840م عند مقطع وادي المالح بعد هروب السكان تاركين بهائهم المقدرة بـ: 700 ثورا و1200 من الغنم تم نهبها،2 ولم تترك فترة الراحة للقبائل المساندة والداعمة لقوات المقاومة الوطنية فتوجهت نحو قبائل الحشم بمنطقة معسكر وعملت للبحث عن الحبوب المخزنة في المطامير فلم يترك منها ها واستولت على البهائم وقتلت سكان القبيلة.3

أراد الجنرال بيجو من خلال هذه السياسة المنتهجة إخضاع القبائل الجزائرية للسلطات الفرنسية بعد تفقيرها وضمان عدم مشاركتها ودعمها لقوات المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي.

وفي شهر أوت 1840م قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة النقيب ولسن "Walssin" بالاستيلاء على مطامير معسكر، وتم شحن حمولات القمح4.

واصلت القوات الفرنسية عمليات الحصار والحرق واستنزاف خيرات الشعب الجزائري للتضييق على المقاومة الوطنية ، والعمل على تجويع الشعب وإبعاده عن سبل المساهمة من خلال تحطيم جميع القرى والمدن التي كانت تمون القوات الوطنية وتساندها في حربها ضدهم، وتمكنت القوات الفرنسية بقيادة العقيد لامورسيير من مصادرة الأراضي الخصبة لقبائل الحشم بمنطقة غريس وتم نهب حقول القمح وشحنت نحو أسوار مدينة معسكر، وقتل بعض الأشخاص وتم قطع رؤوسهم وبعضهم سجنوا ونهبت خيولهم.5

[1]- A. Toqueville, Travail sur l'Algérie 1841 de colonisation en Algérie,op.cit, p. 30.

[2]-I. Derrien, Les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours, op.cit., p. 141 -142.

[3]-Ibid., id., p. 156.

[4]-De Mintimpry, Souvenirs d'un officier d'état major histoire de l'établissement de la dominationfrançaise dans la Provinced'Oran, éd.Quantin, Paris, 1886, p.126.

[5]-T. Changargnier, Mémoire du général Changargnier, édLevrault, Paris, 1930, p.87.

وفي الفترة الممتدة ما بين 10 - 20 جوان 1841م واصلت القوات الاستعمارية عملياتها الاجرامية فقامت بتحطيم وتخريب محاصيل قبائل الحشم الزراعية بسهول غريس،1 وفي شهر جويلية تم نهب مطامير القمح من قبائل الحشم.2

تكررت عمليات الحرق والنهب بمنطقة غريس نظرا لأهمية المنطقة التي كانت تمون قوات المقاومة الوطنية بالمؤن والعتاد والتعبئة الشعبية والخيول ومتطلبات الحرب لمواصلة المقاومة.3

تمكنت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو من تموين الحامية العسكرية بمعسكر في19 جوان 1841م، بعدما قامت قواته بتنظيم فيالق يقمون بعملية الحصاد والدرس لحقول القبائل المناهضة والرافضة للاحتلال الفرنسي، يعملون والبندقية في أيديهم، وفي ظرف ثمانية أيام جمعت 2500 قنطارا من الحبوب وهذه أفضل طريقة اعتبرها الجنرال بيجو للتخفيف من حدة المعارك وضمان استسلام القبائل. 4

طاردت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال بيجو في8 أكتوبر 1841م قبائل الفليتة واخترقت سهول غريس لقبائل الحشم، ونهبت جميع مطاميرهم المملوءة بالقمح متوجهة بها نحو معسكر، وقامت بحرق زاوية القيطنة التي كان يشرف عليها سيدي السعيد أخ الأمير عبد القادر وبيوت هذه القرية5.

استطاعت الحملة الفرنسية بقيادة العقيدلامورسيير في 29 نوفمبر 1841م المتوجهة من مستغانم بنهب القمح والبقر وهي في طريقها نحو معسكر، وكررت نفس العملية خلال شهر ديسمبر، وذلك

[1]-W.Estirasy, Notice historique sur le maghzen d'Oran, typographie de Berrier, op.cit., p. 117.

[2]- الحشم : تنقسم إلى قسمين هما : حشم الشراقة قبيلة تسكن المنطقة الشرقية من سهل شراقة، الجبال الواقعة بين البرج والقلعة، على ضفاف واد الحداد وواد العبد، سهل فرطاسة أراضي كاشرو يتكون حشم الشراقة من 5 مجموعات: حبوشة ،ولاد عباس،أهل غريس، محاميد وولاد عيسى بن عباس، وقد اختار الأمير من بينهم أنصاره ورجاله الأوفياء أما حشم الغرابة، فكانوا يسكنون المنطقة الغربية من معسكر وينقسمون بدورهم إلى 5 قبائل.

E.Daumas, Correspandances du capitaine Daumas consul à Mascara ,1837-1839, Collection de documents inédits par le Gouvernement Général d'Algérie, éd. Jourdan, Paris, 1921, p. 9.

[3]-R. Demont, Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847, op.cit., t. 2, p. 91.

[4]-P. Azan, Bugeaud et l'Algérie, op. cit., p. 62.

[5]-R. Demont, Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847, op.cit., t. 2, p. 98 -99.

باعتبار القمح الجزائري صحيا بالنسبة للجيش الفرنسي أحسن من القمح الأوروبي،1ونهبت مطامير القمح بسهل غريس وتم شحن حمولاتها نحو معسكر2.

إن عمليات نهب المطامير والأحصنة والماشية غايتها إخضاع الشعب الجزائري وتحطيم قدراته في المقاومة، من خلال تلك الانتهاكات والسرقات والإبادات الممارسة ضد الشعب الجزائري3.

توجهت القوات الفرنسية في شهر جانفي 1842م بقيادة العقيد لامورسيير نحو منطقة لبيوض شرق كاشرو بسهول غريس وتمكنت من نهب مطامير القمح، واستطاعت من نهب أعداد من الماشية ومطامير للقمح بمستغانم، كما أنها بعدما أبادت أولاد سيدي دحو نهبت ماشيتهم ومطامير قمحهم.4

بعد الحملات الفرنسية المتتالية تمكنت قوات الاحتلال بقيادة المقدم رونو "Renault"من نهب مطامير القمح النواصر وسجن قائدهم بن عيسى5، كما تمكنت من نهب مطامير القمح والغنم ، وعمليات الإبادة ضد قبائل الحشم، وسهلت هذه العمليات شحن كميات كبيرة من القمح لتموين جيش الاحتلال الفرنسي بمقاطعة وهران. 6

سيطرت القوات الفرنسية على حوالي تسعة عشر دوارا بضواحي معسكر في الفترة الممتدة ما بين 6 الى7 فيفري 1842م وقامت بنهب عددا من الماشية، وفي طريق عودتها إلى مستغانم نهبت المطامير التي صادفتها في طريقها،7 وتمكنت في31 مارس من إخضاع أغلب قبائل الحشم بسهول غريس وأجبرتهم على دفع ضريبة تقدر بـ: 350 حصانا. 8

استهدفت قوات الاحتلال الفرنسي جميع المناطق التي كانت تمون قوات المقاومة الوطنية التي كان هدفها القضاء عليها باتخاذ كل السبل والطرق التي تجبر الشعب على الاستسلام والخضوع.

---

[1]- R. Demont, Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847, op.cit., t. 2, p. 105 -106.

[2] -De Mintimpry,Souvenirsd'un officier d'état major histoire de l'établissement de la dominationfrançaise dans la Provinced'Oran, op.cit., p. 118.

[3]-Ibid., id., p. 130-131.

[4]- Ibid., id., p. 132.

[5]-T. Changargnier, Mémoire du général Changargnier, op.cit., p. 133.

[6]-I. Derrien, Les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours, op.cit., p. 155.

[7]-R. Demont, Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847, op.cit., t. 2, p. 111.

[8]-Ibid., id., t. 2, p .117.

قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد لامورسيير بنهب مطامير الفليتة وأولاد شريف،1 وتكررت عمليات السطو في 5 جويلية 1842م فتم نهب المحاصيل الزراعية لقبائل الفليتة والحشم الذين رفضوا الخضوع لقوات الاحتلال الفرنسي.2 وفي ظل مساندة قبائل الحرار3 لقوات الاحتلال الفرنسي تمكنت في 08 أكتوبر 1842م من نهب مطامير نهب مطامير القمح لقبيلة أولاد الشريف التي رفضت الخضوع لقوات الاحتلال الفرنسي4.

إن المساعي الفرنسية من هذه الأعمال الإجرامية في حق الشعب الجزائري أرادت بها إبعاده عن المساهمة في المقاومة الوطنية، وما تخريب حقول القمح وقطع أشجار الزيتون والتين وحرق البيوت، هذه كلها إلى وسائل وطرق ترى فيها فرنسا السبيل الوحيد لإنهاء هذه المقاومة وتوطيد أركان استعمارها وإنجاح مشروعها الاستيطاني بالجزائر.

إن هذه العمليات التخريبية حتمت على الكثير من القبائل الجزائرية الاستسلام والخضوع للقوات الفرنسية فقد طلب سكان منطقة سبدو الأمان من قوات الاحتلال الفرنسي وتم إخضاعهم شهر أكتوبر1842م.5

إن توسع قوات الاحتلال الفرنسي جنوب قبائل الحشم بقيادة العقيد سانت أرنو في 5 ديسمبر 1842م مكنهم من نهب مجموعة من مطامير القمح، وقتل آغا الحشم والفرسان الذين كانوا معه.6

وفي 19ماي 1843م استطاعت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال لامورسيير من نهب مجموعة من قبائل الحشم بمنطقة الخميس والاستيلاء على ماشيتهم وذخيرتهم. 7

[1]-Ibid., id., t. 2, p. 152 -153.

[2]-W.Estirasy, Notice historique sur le maghzen d'Oran, typographie de Berrier, op.cit., p. 117.

[3]- الحرار: كونفدرالية قبائل تقيم في أراضي ولاد سيدي خالد وكانوا مجموعتين: حرار الشراقة التابعون لأغاليك حشم الشراقة, وحرار الغرابة التابعون لأغاليك حشم الغرابة. كانوا يرتحلون في الهضاب العليا من اليعقوبية حتى جبل عمور ينظر:

E.Daumas, Correspandances du capitaine Daumas consul à Mascara ,1837-1839, op.cit., p. 98.

[4]-W.Estirasy, Notice historique sur le maghzen d'Oran, typographie de Berrier, op.cit., p. 160-163.

[5]-D.Henry, Les conquérants de l'Algérie (1830-1852) ,Berger-Levrault, Paris, 1930., p. 109.

[6]-R. Demont, Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847, op.cit., t. 2, p. 106.

[7]-W. Estirasy, Noticehistoriquesurlemaghzend'Oran, typographie de Berrier, op.cit., p. 170.

عملت القوات الفرنسية على تدمير الاقتصاد ومنع كل المبادلات التجارية لتموين المقاومة الوطنية، وتخريب البلاد وفي اعتقادهم أن الحرب ضرورية في تدمير البلاد سواء بإتلاف المحاصيل في أوقات الحصاد أوفي الأوقات التي تتطلب الغارات المباغتة والسريعة من أجل سجن السكان ونهب قطعان الغنم والبقر،1وحسب تصريحات الجنرال بيجو :" يجب إخضاع عبد القادر بل يجب أن نبيده لأنه من دون القضاء عليه لن نصل إلى أهدافنا، فأنا أقول أننا لا نعرف هذا الإفريقي وإمكانياته التي جعلته جد خطير ولذلك يجب أن نواجهه بحرب شرسة ومن أجل ذلك يجب أن يكون فكرنا متحرر لاستعمال جميع الوسائل،"2

إن التوسع الفرنسي على حساب الأراضي الجزائرية كان أكثر همجية وتعسفا في حق الشعب الجزائري لتحطيم القوى التموينية للمقاومة الوطنية، فاتخذت قوات الاحتلال الفرنسي جميع الطرق والوسائل التخريبية والتدميرية كعمليات الحرق والنهب لاستنزاف روح المقاومة الجزائرية ومصادر تموينها وفق خطط أكثر شراسة وخطورة في تجويع وإبعاد الشعب الجزائري للدفاع عن ممتلكاته وأراضيه المسلوبة وحقوله التي تم حرقها أو نهبها هذه هي أوجه روح الحضارة وحقوق الإنسان التي كانت تنادي بها الدولة الفرنسية أهذه هي مبادئ الثورة الفرنسية التي كانت تنادي بالعدل والمساواة .!

2- الإبادة الجماعية في حق الشعب الجزائري:

- تعريف الإبادة :

تعتبر عملية الإبادة "Razzia" حسب النقيب لوبلودوبريبوا "Leblanc – de Prébois " شيء دنيء ومعيب للجيش الفرنسي وأمجاده حيث تقوم القوات الفرنسية بمهاجمة شعب أعزل ومحاصرته فتختطف النساء، ولكل امرأة برفقتها حوالي ثلاثة أطفال يمشون معاقبين ويتقدمون بآلامهم والشيوخ أيضا وتنهب ماشيتهم من أبقارهم وحميرهم وأغنامهم وتترك بأراضيهم جثت القتلى، ولتبرير هذه الجرائم قالوا إن كل الحروب تتطلب معاملة العدو بهذه الطريقة من أجل إخضاعه بدون

[1]-A. Toqueville, Travail sur l'Algérie 1841 de colonisation en Algérie, op.cit., p. 62-63.

[2]-P.Azan, Par lépée par la chureécrits et discours de Bugeaud,éd.PUF,Paris,1948, p.79.

مقاومة وبدون حرب ماذا علينا أن نفعل في مثل هذه الحالات لا نستطيع أن نخضع هذا المجال من هذه الأراضي بدون مقاومة وحرب ."1

هذه هي الحرب التي واجهها الشعب الجزائري ضد قوات فرنسية لا تحترم حقوق الإنسان ؟

وحسب تصريحات جونتيدوبيسي: " لابد من إبادة العرب أو حضارتهم حسبنا".2

وحسب تصريحات دوطوكفيل "لا تشغلوا بأمجادكم الشخصية وأن يؤدي كل منكم واجبه بإخلاص لوطنه إن فرصة الظهور لكل منكم تكمن في قيامه بأعمال وحشية ودموية "3

تأسست اللجنة الإفريقية بتاريخ 7 جويلية 1832م ووصلت هذه اللجنة إلى الجزائر في 2 سبتمبر 1832م رئيسها الجنرال بوفي "Bovey" تنقلت اللجنة عبر مدينة الجزائر ووهران وعنابة وأرزيو وبجاية لجمع المعلومات عن وضعية الجزائر ومستقبلها وبعد عودتها إلى فرنسا في9 نوفمبر 1833م وضعت تقاريرها ورأت هذه اللجنة ضرورة احتفاظ فرنسا بالجزائر 4.

عمل تقرير اللجنة الإفريقية على التشبث بمشروع فرنسا الاستعماري والبقاء بالأراضي الجزائرية، الذي يوضح مدى إصرار الدولة الفرنسية بعدم التخلي عن الجزائر باعتبارها بوابة إفريقيا ومجال حيوي للتوسع والاستيطان، ولانجاح مشروعها لم يكن هناك أي اعتبار لأي مقومات إنسانية أو حضارية للشعب الجزائري ، وتجاوزت كل الحدود هذه هي الهمجية الفرنسية التي عملت على إبادة الشعب الجزائري واستبدال شعب بآخر مثلما فعل الإنجليز بالهنود في أمريكا، هذه هي السياسة الفرنسية التي عملت جاهدة للقضاء على الشخصية الجزائرية وتحطيم مقوماتها، فهل هذه هي الحضارة التي ادعت فرنسا تطبيقها في الجزائر ؟.

إن الاستعمار الفرنسي بأساليبه التدميرية وإنهاك مصادر العيش للشعب الجزائري بسلب أراضيه ومصادرتها جعلته يقاوم هذه القوات الفرنسية المغتصبة لحريته وكيانه، لقد غرس الأمير عبد القادر في الشعب الجزائري فكرة رفض الاحتلال والظلم والدفاع عن النفس وعن الوطن وروح التحدي رغم الانتهاكات والتهجمات المتواصلة وفضاعتها والتفاوت التجهيزي بين الجيشين.

[1]- J. Ladmir, Les guerres d'Afrique, éd. Renault, Paris, 1858.,p. 272.

[2]- G. De Bussy, De l'établissement des Français dans la Régence d'Alger, éd. Didot, Paris, 1839, t. 1, p. 131.

[3]-A. Toqueville, Travail sur l'Algérie 1841 de colonisation en Algérie, op.cit., p. 93.

[4]-V. Dieuzede, Histoire de l'Algérie 1830-1878, éd. Hentz, Oran, 1882, t. 1, p. 132 -134.

وحسب تصريح الجنرال بيجو:" يجب أن نقوم في إفريقيا بحملة كبيرة شبيهة بما كان يفعل الإفرنج وما كان يفعل القوط".1

ربط الجنرال قوات الاحتلال الفرنسي بتراثها الأوروبي المسيحي وإحياء أمجاد روما ، ببلاد الجزائر والاستفادة من التاريخ لمواصلة ما فعله أجدادهم من انتهاكات على أرض الجزائر، لقد كلف المشروع الفرنسي العديد من الأموال والرجال ليس لهم سوى أسلوب واحد لقهر وتحطيم هذه الجهود والمنجزات التي كانت تقوم بها المقاومة الجزائرية ضد القوات الفرنسية.

استعملت السياسة الفرنسية كل الأساليب الإجرامية لإجهاض القوى المادية والمعنوية لروح المقاومة الشعبية مع تحطيم أسسها ومبادئها من خلال قتل روح المبادرة وإنهاك القدرات على المواجهة بأساليب غير إنسانية وغير أخلاقية .

صرح المقدم لامورسيير سنة 1834م: " إن الحرب عمل تبشيري ضد قوم لا ينفع معهم الكلام المعقول إلا إذا كان معززا بالحراب"2

كانت مساعي القادة الفرنسيين القضاء على المقاومة الشعبية الوطنية بأفكار وأساليب ابادية.

إن أهم العمليات الإجرامية الفرنسية التي كانت تحت قيادة الجنرال بريقو، عندما قامت قواته بمطاردة قبائل الحشم والغرابة إلى جبال بني شقران في 14 مارس 1836م ، ووصلوا حتى شلف ونهبوا 2000 رأس غنم ساقوها إلى وهران. 3

يصرح الجنرال بيجو أمام مجلس النواب الفرنسي شهر جانفي 1840م" أنه لمن العار أن نجر كل العتاد العسكري الثقيل وآلات القذف الفتاكة لنستعملها ضد عدو لا يملك مثلها" .4

يعتبر الجنرال شونقارني من أكبر منفذي عمليات الإبادة وكان يعتبرها عملية حضارية بالجزائر5

[1]-A. Bernard,L'Algérie histoire des colonies de la France dans le monde, éd. Alcan, Paris, 1929, t. 2, p. 208.

[2]-مصطفى الأشرف ،الجزائر الدولة والمجتمع،ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1983، ص. 265.

[3]-I. Derrien, Les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours, op.cit., p. 104.

[4]- مصطفى الأشرف، المرجع السابق ، ص. 293.

[5]-H. D'Estre,Les conquérants de l'Algérie (1830-1852), op.cit., p. 179.

ويصرح قائلا: "ولابد على كل دولة من أجل فرض قوتها من استعمالها عمليات الإبادة مثلما فعلوا بالهنود" 1

هاجمت القوات الفرنسية بقيادة المقدم لامورسيير في شهر أوت 1840، بني عامر و قبائل الغرابة2 بنواحي وهران وقامت بإبادتهم، وخلال شهر أكتوبر تم قتل أهم قادتهم واختطفت نساؤهم وبناتهم ونهبت مطاميرهم التي تم شحنها إلى مدينة وهران.3

وتكررت العمليات الفرنسية بتلك المناطق حيث تمكنت القوات الفرنسية بقيادة المقدملامورسيير في11 أكتوبر بعد حملتها على بني عامر من قتل 6 نساء ومجموعة من الرجال ونهب بعض الأبقار و2000 خروف، وفي21 أكتوبر قامت قوات الجنرال بورجولي4 قرب حصن الكرمة بتشتيت السكان وقتل آغا الغرابة بن يعقوب و10 أشخاص و6 نساء بينما 22 شخصا سجنوا ونهبت 940 رأس بقرة و2000 خروف، و60 حصانا للحرب، و30 جملا، و40 بغلا، و300 حمارا، و90 سرجا وأسلحة وعدة غنائم بمنطقة وهران" 5 وبعد هذه الحملات الفرنسية على هذه المناطق يصرح المقدم لامورسيير قائلا : في21 أكتوبر قامت القوات الفرنسية بقتل بعض الرجال الذين أرادوا المقاومة ومعهم ست نساء وفر الباقي تاركا وراءه ألف رأس من الأبقار وما يزيد عن ألفين من الغنم وبعد عشرة أيام نهبت الحبوب المخزنة بعدما فر السكان.6

تمكنت قوات عسكرية انطلقت من وهران بقيادة الجنرال بيدو وقوات عسكرية أخرى انطلقت من مستغانم شهر نوفمبر 1840م، من تدمير وحرق كل شيء بمنطقة بني شقران، ثم استولت على

-[1] T. Changargnier, Mémoire du général Changargnier, op .cit., p 215.

[2]- الغرابة: قبيلة تسكن جنوب الأراضي المخصصة لفرنسا حوالي وهران في منطقة من سهل تليلات, غابة مولاي اسماعيل وسهل سيق. كانت جزءا من المخزن، كانت تضم أغاليك الغرابة 15 قبيلة و 3 ضيعات، البرج, القلعة وتليوانت أنظر:

E.Daumas, Correspandances du capitaine Daumas consul à Mascara ,1837-1839, op.cit., p. 7.

[3]-R. Demont, Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847, op.cit., t.2, p. 51-52.

[4]- لوبايدوبورجولي 1791-1865: أبرز ضباط الفرسان، جاء إلى الجزائر1830 ولم يغادرها إلا في 1846 بصفته كجنرال ينظر:

T. Changargnier, Mémoire du général Changargnier, op.cit., p. 103.

[5]-J. Ladmir, Les guerres d'Afrique, op. cit.,p. 238-239.

[6]-E. Kaller, Le général De La Moricière sa vie militaire, politique et religieuse, éd. Haton, Paris, 1874, t. 1, p. 228.

600 ثور و700رأس من الغنم.1 وقامت القوات الفرنسية بقيادة المقدم لامورسيير في 28 نوفمبر بإبادة ضد قبيلة أولاد جبارة وفاجأت قبيلة أولاد خلفة من بطون بني عامر، فسجن شخصين و12 امرأة وطفل وتم نهب 600 رأس بين بقرة وعجل والآلاف من الغنم و15 حصانا، و31 جملا و10 بغال وأكثر من 200 حمارا و200 خيمة للسكان نهبت أملاكهم وحرقت خيمهم.2

واصلت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة المقدم لامورسيير حملاته العسكرية الموجهة إلى منطقة غريس، واستطاعت في أوائل شهرماي 1841 من قطع عدة رؤوس للجزائريين واختطاف آخرين ونهب خيولهم،3وأخضعت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو في 8 أوت قبائل مجاهر للصف الفرنسي، وذلك بعد إبادة سكان منطقة مينة ليلا، واختطاف 329 شخص من نساء وأطفال و2000 رأس ماشية ساقوها إلى مستغانم خلال شهر سبتمبر4.

استطاعت القوات الفرنسية الجنرال بيدو في 8 ديسمبر من إبادة قبيلة البرجية، ونهب خيامهم وعائلاتهم وماشيتهم، والتي أعلنت خضوعها للقوات الفرنسية وتقدر هذه الغنائم بـ: 6000 رأس غنم و1300 بقرة، و150 جملا، و300 حصان وبغل وأكثر من 800 حمار محملين بالقمح، والتي وصلت وصلت إلى مدينة مستغانم في 10 ديسمبر5.

ان الحملات العسكرية الفرنسية الشرسة ضد القبائل الجزائرية أدت الى الكثير منها للخضوع والاستسلام وخاصة بعدما تكررت العمليات الابادية والاجرامية ضد هذه القبائل، فقد تمكنت القوات الفرنسية بقيادة العقيد مونتنياك في 17 جانفي1842م من نهب الحبوب والمواشي بنواحي معسكر واختطاف الأطفال والنساء،6 ونفس العمل قامت به القوات التي كانت بقيادة الجنرال بيدو من نفس الشهر بنهب إحدى المخازن للبارود بنواحي معسكر بمنطقة نصمود، وتم إخضاع عدة قبائل أهمها الحساسنة والجعافرة، وبني شقران، وذلك بعد إبادة أولاد دحو كما أخضعت المجاهر، البرجية وعبيد الشراقة وسيرات.7

[1]-Ibid., id., t. 1, p. 250.

[2]-J. Ladmir, Les geurresd'Afrique,op. cit., p. 240-241.

[3]-R. Demont, Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847, op.cit., t. 2, p. 87.

[4]- Ibid., id., p. 93- 95.

[5]-J. Ladmir, Les guerres d'Afrique, op.cit., p. 264.

[6]-Arnaud (Saint), Lettres du maréchal Saint Arnaud 1832-1854, éd. Lerey, Paris, 1858, t. 1, p. 390 - 392.

[7] -De Mintimpry, Souvenirs d'un officier d'état major histoire de l'établissement de la dominationfrançaise dans la Provinced'Oran, op.cit., p. 134.

خيمت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة العقيد لامورسيير في20 جوان بحقول فرطاسة على وادي مينة1 وقامت بنهب منتوج الحصاد بغية جعل أهلها في مجاعة.2

عمل العقيد لامورسيير بمتابعة قبيلة الفليتة التي كان يوجد بها 1000 خيمة تضم ما بين 6000 إلى 7000 شخص و قطعانا من الأغنام، وفي9 ديسمبر قام بمهاجمتها وتم نهب منهم 100 رأس ثور و500 رأس غنم و20 حصانا،3 كما قامت القوات الفرنسية في إقليم وهران بعدة حملات ضد قبائل بني عامر لتحطيمها والقضاء على المقاومة الوطنية التي كانت تستند على القبائل في عمليات التموين بالمؤن وفي عمليات التجنيد ضد قوات الاحتلال الفرنسي، وتم أخضاع عدة قبائل من الحشم، أهمها البرج، الغرابة، القطارنية، أولاد سليمان،4 وتمكنت القوات الفرنسية بقيادة العقيد لامورسيير رفقة الجنرال داربوفيل5 من إبادة قبيلة أولاد خويدم وقبائل الفليتة6.

لقد صرح الجنرال بيجو أمام مجلس النواب يصف روح المقاومة الجزائرية :

" لو كان سكان الجزائر قوما آخرين غير العرب أو كانوا يشبهون شعوب الهند المخنثة لما أوصيت أبدا بصرف الأموال الطائلة في سبيل تعمير البلاد بالعساكر، ولكن وجود هذه الأمة القوية العتيدة المستعدة كامل الاستعداد للحرب والمتفوقة على العناصر الأوروبية والتي كنا ننوي إدخالها للبلاد كل ذلك يحتم علينا أن نختار العناصر القوية من الأوروبيين لتوطينهم أمام أولئك العرب وجنبا الى جنب معهم"7،

يؤكد الجنرال شونقارني قوة المقاومة الشعبية الوطنية في تصريحاته من خلال مذكراته :" استعملنا مع الأمير عبد القادر نفس الخطط العسكرية التي استعملناها في الحروب الأوروبية وذلك

---

[1]- وادي مينة: ينبع 20 كم شرق فرندة، يمرغير بعيد عن تاقدمت حتى غليزان ويصب في شلف ينظر:
E.Daumas, Correspandances du capitaine Daumas consul à Mascara ,1837-1839, op.cit., p. 105.

[2]-E. Kaller, Le général De La Moricière sa vie militaire, politique et religieuse,op.cit., t. 1, p. 261.

[3]-Ibid., id., p., p. 273.

[4]-R. Demont, Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847, op.cit., t. 2, p. 138.

[5]- داربوفيل: ولد في 1789 وشارك في حملة الجزائر كقائد كتيبة عاد إلى إفريقيا في 1838 كقائد المجموعة 26. ينظر:
T. Changargnier, Mémoire du général Changargnier, op.cit., p. 206.

[6]-Ibid., id., p. 146 -147.

[7]- مصطفى الأشرف ، المرجع السابق ، ص. 81-82.

طوال المدة التي كانت له فيها قوات عسكرية وحكومة كسائر الحكومات ومراكز لادخار المؤن والعتاد والمخازن " 1

لقد كانت الحرب بالجزائر أكثر غموضا ومأسوية من جهة التقتيل ومن جهة أخرى المجازر والإبادات الجماعية إلى جانب العقوبات، تحت أسلوب التحطيم والتدمير، وعمليات صاخبة ومشادات طول النهار دون فائدة عمليات جنونية ضد الإنسان اختلطت بالغضب الصامت للعتاد الحربي، جرحى حتى الموت، البربرية تتجادل عتاق الحضارة وتبحث عن الضربة القاضية ".2

3- تحطيم المدن التي أنشأها الأمير عبد القادر:

لقد قامت القوات الفرنسية باتخاذ الوسائل والإمكانيات اللازمة من أجل القضاء على المدن التي تدار بها الصناعة والحصون التي أنشأت من أجل مراقبة التوسع الفرنسي والحد من تقدمه.

وحسب تصريحات القادة العسكريين الفرنسيين :" الآن يجب تدمير الأماكن المنظمة والمحصنة من طرف الأمير عبد القادر من أجل جعلها مراكز للتموين وإقامة مصانع الأسلحة بسلسلة من الغزوات والحرق سهلت النظام جهة المدية وملیانة."3وتم القضاء على هذه المدن من أجل عزل الأمير عن القبائل المحاربة والعمل على مطاردته في كل مكان وضرب قوته لكي تفشل.4

كان الهدف الأول للجنرال بيجو الحصول على إخضاع القبائل وللوصول إلى هذا المبتغى اتخذ إجراءات تطبيقية فقام بمنع التجارة مع القبائل التي لم تخضع للسلطات الفرنسية .5

إن الهدف الذي تبناه الجنرال بيجو كان تدمير واحتلال المدن التي أنشأها الأمير عبد القادر لإقامة المخازن ومصانع الأسلحة أهمها معسكر، سعيدة، تلمسان، سبدو، بوغار، وتازة وصلت القوات الفرنسية إلى معسكر متبوعة ومضايقة من طرف قوات المقاومة الوطنية الذين تجنبوا المعركة واستولت هذه القوات على المدينة شهر ماي 1841م وتم تدميرها ونصب بعدها الجنرال

[1]-T. Changargnier, Mémoire du généralChangargnier, op.cit., p. 331.

[2]-J. Ladmir, Les guerresd'Afrique,op. cit. , p. 354.

[3]-A. Lichtenberger, Les grandes figures coloniales Bugeaud, éd. Plon, Paris, 1931, p. 152.

[4]-T.-R. Bugeaud, Mémoire surnotre établissement dans la Provinced'Oran,éd.Laguionie, Paris,1838, p. 57.

[5]-Ibid., id., p. 58.

بيجو عليها حامية متكونة من ثلاثة فيالق مشاة وكتيبة من الهندسة. 1، قام الأمير عبد القادر بصرف أموال الخزينة من أجل بناء المنشآت العسكرية ومؤسسات ومصانع وورشات من أجل التحضير لحرب طويلة الأمد ضد قوات الاحتلال الفرنسي.

الخاتمة:

تعتبر السياسة الاضطهادية الفرنسية الممارسة ضد الشعب الجزائري من إبادة ومحارق وسياسة الأرض المحروقة وتحطيم المنازل ومصادرة الأراضي، هي الوسائل التي كانت فرنسا تراها مناسبة من أجل القضاء على الشعب الجزائري وسبل المقاومة الجزائرية وضرب مصادر تموينها وتمويلها وتعبئتها ، لأن السياسة الفرنسية كانت غايتها نجاح المشروع الاستيطاني بالجزائر.

تمثلت سياسة الجنرالات الفرنسيين من خلال تصريحاتهم الإجرامية، التي كانت أكثر تعسفا وشدة، وزادت قسوة القوات الفرنسية لتحقيق أهدافها التوسعية بعدما لاقت مقاومة شعبية عنيفة بقيادة "الأمير عبد القادر"، لذا عملت القوات الفرنسية من أجل القضاء على هذه المقاومة الوطنية بشتى الطرق المتاحة، مهما كانت درجة خطورتها وحدتها على الشعب الجزائري.

[1]- T.-R. Bugeaud, Mémoire surnotre établissement dans la Provinced'Oran,op.cit., p. 60.